جمهورية مصر العربية	٢٣ شوال ١٤٤٢ هـ
وزارة الأوقاف	٤ يونيو ٢٠٢١م

(١)

كيف نستمطر الرحمات الربانية

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، القائل: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ)، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى هو أرحم الراحمين؛ الرحمة صفته، والرحمن والرحيم من أسمائه، أرسل رسله رحمة، وأنزل كتبه رحمة، وأعد الجنة لعباده الصالحين رحمة، وبدأ كتابه الكريم ببيان رحمته التامة، حيث يقول سبحانه: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ*الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، ويقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ).

إن رحمة الله تعالى لا يحدها حد، ولا يتصورها عقل؛ فهو سبحانه صاحب الرحمة الواسعة التي تليق بكماله سبحانه،كتبها على نفسه تفضلًا منه على عباده، حيث يقول سبحانه: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ}، ويقول (عز وجل): {قُلْ لِمَن ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي)، وحين رأى نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) امرأة تحنو على طفل صغير، قال لأصحابه: (أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟)، قَالُوا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا).

ولكي نستمطر رحمات الله سبحانه وتعالى لا بد لنا من أمور، منها: أن نبرأ من حولنا وقوتنا إلى حول الله تعالى وقوته، حيث يقول سبحانه: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ}، وعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال له: (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟)، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)؛ وهي كلمة تعني: الاستسلام لله سبحانه وتعالى، وتفويض الأمر إليه.

ومنها: أن نكون بحق لله تعالى ومعه سبحانه، فمن كان مع الله كان الله معه، ومن كان الله معه فلا عليه بعد ذلك بمن عليه ومن معه، ولمعية الله (عز وجل) أسرار لا يدركها إلا من رُزق اليقين، فما يفتحه الله من رحمة فلن يغلقه أحد، وما أغلقه فلن يفتحه أحد، حيث يقول سبحانه: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، ويقول تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}.

ومنها: التضرع إلى الله تعالى بالاستغفار والدعاء، يقول (عز وجل): {لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، ويقول سبحانه: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}، ويقول تعالى: {رَبَّنَا آتِنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)، وكان من دعاء سيدنا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ (رَحِمَهُ اللهُ): اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ، فَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَهْلٌ أَنْ تَبْلُغَنِي.

***

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن من أهم أسباب استمطار الرحمات الربانية أن نتراحم فيما بيننا، حيث يقول سبحانه: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (الرَّاحِمونَ يرحَمُهم الرَّحمنُ تبارَك وتعالى، ارْحَموا مَن في الأرضِ يرحَمْكم مَن في السَّماءِ)، وتقول السيدة عائشةَ (رضي اللَّهُ عنها): جَاءَتني مِسْكِينَةٌ تَحْمِل ابْنَتَيْن لَهَا، فَأَطعمتُهَا ثلاثَ تَمْرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلى فِيها تَمْرةً لتَأكُلهَا، فَاسْتَطعَمَتهَا ابْنَتَاهَا- أي: طلبتا منها هذه التمرة - فَشَقَّت التَّمْرَةَ الَّتي كَانَتْ تُريدُ أَنْ تَأْكُلهَا بيْنهُمَا، فأَعْجبني شأنها، فَذكَرْتُ الَّذي صنعَتْ لرسولِ اللَّه (صلى الله عليه وسلم)، فَقَالَ: (إنَّ اللَّه قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجنَّةَ، أَو أَعْتقَها بِهَا من النَّارِ).

ومنها: التعلق بكتاب الله تعالى، وحسن اتباعه، والتخلق بأخلاقه، حيث يقول سبحانه: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، ويقول (جل وعلا): {وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، وأن نتحلى بالإحسان والسماحة مع الناس جميعًا، حيث يقول تعالى: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى).

فما أحوجنا إلى أن نأخذ بأسباب الرحمة التي أمرنا الله سبحانه بها في كتابه العزيز، وعلى لسان نبيّه (صلى الله عليه وسلم) حين أجاب من سأله: أعقل ناقتي وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ فقال (صلى الله عليه وسلم): (اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ)، فلنأخذ بأسباب الرحمة من السعي، والجد، والعمل، والتراحم فيما بيننا، ونتوكل على الله سبحانه في تفويض أمر النتائج إليه، والرضا بما قسمه.

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر.